بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعرب

« هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » . سورة الملك [١٥]

« وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » . سورة الحج [٥]

فى هذا الكتاب صحائف مشرفة لرجال جاهدوا وذللوا بقاعا مختلفة من صحارى العالم العربى « فيما بين مراكش غربا و إيران شرقا » لمواجهة مشكلة زيادة السكان ومحاولة الأكثار من المواد الغذائية لسد حاجاتهم إلى الطعام والكساء وذلك بتوسيع المساحات المنزرعة وتحسين غلاتها النباتية والحيوانية و إصلاح احوالهم الاجتماعية .

ولمصر فيه صحائف مجيدة طريفة وتليدة ، وما زال فى الميدان متسع للعاملين المخلصين زادهم الله نجاحا وتوفيقا .

المعرب

مقدمة المراجع

إن المتأمل فى أية خريطة جغرافية للقطر المصرى يتضح له جليا أن مصر لا تعدو أن تكون شريطاً أخضر محدود الاتساع على جانبى النيل وسط صحراء واسعة تحف به من الجانبين . و إذا ما قدرنا مساحة هذا الخط الضيق من الأراضى الزراعية الواقعة على جانبى نهرنا العظيم وجدناها لا تزيد على وجه التحقيق عن ١ على ٣٠ من مساحة القطر كله إذ تبلغ مساحة الأراضى القابلة للزراعـــة حوالى ٨ مليون فدان بينما تبلغ مساحة القطر كله حوالى ٢٥٠ مليون فدان . فاذا ما علمنا أن كل نشاط حكومى أو شعبى موجه وموجه فقط إلى هذا الوادى الضيق الذى لا يمكن بأى حال العمل على اتساعه أو الزيادة من مساحته زيادة لها قيمة . إذا علمنا هذا وعلمنا أننا حكومة وشعبا قد أهملنا أو وجهنا عناية لا تكاد تذكر إلى المساحة العظمى من الأراضى التى تكون الشطر الأعظم من هـــذا القطر لشعرنا بتقصير كبير نحو هذا البلد الذى نعيش فيه . وربما كان يغتفر هذا النوع من الاهمال بالنسبة لأجدادنا فى العصور الأولى حيث كانت وسائل الحياة وأساليبها جميعا هى وسائل وأساليب بدائيـة لا يتمكن معها الانسان من التغلب على ما قد يواجهه من صعاب إذا توجه نحو تعمير الصحراوات .

ولقد كان من أول هذه الأسباب الاعتقاد الذى كان يسود العالم بخصوص عدم امكان استثمار الأراضى الصحراوية زراعيا . إذ أن ذلك هو الخطوة الأولى لتعمير أية منطقة من مناطق العالم المختلفة فلا بد أن تسبق الزراعة شتى أنواع الإنتاج المختلفة فى الحياة لهذا الإنتاج فإنه ربما كان لنا بعض العذر فيما مضى وذلك لعدم قيام علوم

الأراضى وفى مقدمتها جميعا علم كيمياء الأراضى حيث تسنى عن طريق هذا العلم تحليل الأراضى فى مختلف جهات العالم تحليلا كيميائيا يبين لنا بوضوح مكوناتها المختلفة وما ينشأ فى باطنها من تفاعلات تؤدى إلى خصوبة هذا النوع من الأراضى وجدوبة ذلك وكيف يمكن تحويل نوع منها إلى نوع آخر .

ولقد كان من ثمرات تقدم هذا العلم وتطوره أن فكر الكثيرون فى استخدامه فى زراعة الصحراء وأنها لفكرة ضخمة تقدر ضخامة الصحراوات واتساع رقعتها فى شتى أنحاء العالم .

فالصحراوات منتشرة فى كل قارة من قارات العالم تقريباً إذا ما استثنينا أوربا وهى تشغل مساحات كبيرة فى هذه القارات . ثم إن هذه الصحراوات تتباين تبايناً كبيراً فى طبيعتها فالكثير منها تتخلله تلال ومرتفعات عدة . وعلى ذلك فإذا ماسمعنا أو قرأنا عن إمكان زراعة الصحراء فيجب أن ينصب ذلك كله على مناطق معينة من هذه الصحراوات لا على جميع أجزائها . فإذا تم هذا التحديد اتضح لنا أنه فى الامكان زراعة مساحات شاسعة من الصحراوات . وهذا ما حدث فى كثير من بقاع العالم الصحراوية وما تدعو اليه الثورة فى مصر الآن . إذ أنه فى الاستطاعة قيام زراعات مربحة وسط الصحراء بل لعل ذلك قديم كقدم الإنسان نفسه . والدليل المادى الملموس على ما نقول والقائم فى الصحراء منذ أقدم الأجيال هو الواحات . فالواحات لا تخرج عن كونها بقاعا زراعية وسط الصحراوات المختلفة وكل ما تختلف فيه طبيعة أراضيها عن طبيعة أراضى الصحراء المجاورة لها والمحيطة بها من كل جانب هو من جهة الموقع فقط وذلك لأن المواقع المنخفضة فى الأراضى الصحراوية هى المواقع التى يسهل الحصول فيها على ما يعرف بالمياه الجوفية أى المياه التى توجد فى باطن الأرض إذ يتسنى بذلك أن تتوفر فى هذه المواقع مياه العيون والآبار التى هى المصدر الوحيد فى وقتنا الحاضر

للمياه اللازمة للزراعة فى الواحات وعلى هذا الأساس نرى إذا توفرت المياه بأية طريقة من الطرق فانه يمكن زراعة جميع المساحات المسطحة والخالية من الهضاب والمرتفعات فى جميع صحراوات العالم المختلفة .

والكتاب الذى نقدمه للقراء فى مصر اليوم هو سجل للمجهود البشرى الحديث المنظم نحو تعمير الصحراوات وتعبيدها بشتى الطرق والوسائل حتى تكون مورد خير وبركة على الإنسانية جمعاء . فمؤلف الكتاب وقد اضطلع بمهمة المحرر العلمى لجريدة الميوزوكرونيكل البريطانية قد جاب فى خير الفكر كثيراً من مجالات العلوم والفنون على أنه أبى أن يقنع بهذا الرحيل فى المجال العلمى والفكرى وقام برحلة واقعية إلى شتى المناطق الصحراوية فى شمال أفريقيا ومصر و بلاد الشرق الأدنى والأوسط وجاب الكثير من الفيافى والقفار من الأصقاع الأفريقية والأسيوية حيث شاهد بنفسه الجهود التى بذلت والتى تبذل فى شتى هذه الأنحاء للنهوض بالمرافق الصحراوية وتذليلها لخدمة الإنسان .

ولقد يسر مهمته إلى حد ما قيام هيئة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة بتنظيم هذه الرحلة الفريدة فى نوعها وتعهدها فجاءت الرحلة وجاء بالتالى الكتاب الذى كتب عنها وافياً بالغرض من القيام بها حيث وصف المؤلف وصفاً علمياً دقيقاً المشروعات العمرانية المختلفة التى تذخر بها صحراوات أفريقيا وآسيا فى يومنا هذا وذلك بأسلوب جذاب لم يخل من الاشارات التاريخية والجغرافية الخاصة بمختلف الأصقاع التى زارها مما زاد فى بهجة هذا الكتاب و بهائه وجعله أقرب إلى قصة طريفة منه إلى كتاب جاف يتناول موضوعاً جافا هو الصحراء .

واننا نحن المصريين وقد هب كل منا فى عهد ثورتنا المباركة إلى إثارة الوعى القومى نحو زيادة الإنتاج واتجهنا فيما اتجهنا نحو تعمير الصحراوات يجب أن نسترشد

بما تم فى غير مصر من بحوث وما بذل من جهود فى تعمير الصحراوات ليكون وعينا فى هذه الناحية وعيا موجها توجيها علميا صحيحا ولتكمل الجهود المبذولة فى هذا الميدان الواسع بالتوفيق .

ولا غضاضة علينا كذلك أن نعلم عن طريق هذا الكتاب ما تم من أعمال فى هذا الشأن فى بلاد غير صديقة لنا بل أن كبرى دول العالم تسعى دائماً إلى أن تحصل على الأسرار الفنية والعلمية لبلاد منافسة لها وتعتبر الحصول على هذه المعلومات كسبا فنيا لها .

ونظراً لأن الذى تولى الاشراف على القيام بهذه الرحلة و إخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود هو هيئة دولية من أكثر الهيئات الدولية نشاطاً فى نشر الثقافة والعلوم على نطاق دولى ولدراسة هذا الكتاب لكثير من النواحي العمرانية للصحراوات فى عدد كبير من الدول فإن القارىء المصرى المتحفز إلى تعمير صحراوتنا الشاسعة سوف يجد فيه علما ينتفع به وأدبا يستفاد منه وتجارب يحتذى بها حتى يكون المشتغلون بتذليل صحراواتنا بصفة خاصة والمصريون جميعاً بصفة عامة فى طليعة (رجال ذللوا الصحراء) .

والله أسأل أن ينفع به كل من قرأه والله المسدد والله المعين .

المراجع

رسالة تقدير

أرجو أن تقبلوا عظيم شكرى على قيامكم بهذه الرحلة بالنيابة عن «اليونسكو» (Unesco) (منظمة العلوم والثقافة والتربيـة — لهيئة الأمم المتحدة) فإن مشكلة تذليل الصحراء وتسخيرها لمنفعة الإنسان وهى الشاغلة للمساحات الشاسعة من كوكبنا الأرضى ، لمن المشكلات التى استرعت أكبر اهتمام اليونسكو .

ولقـد أقبل القراء من أصقاع كثيرة من بلاد الدنيا بحماسة وتلهف كبير على مقالاتكم «عن الصحراء» التى بعثتم بها من قلب الصحراء . وإن كتابك هذا لحرى بأن يوقظ انتباه القراء و يثير تخيلهم وتفكيرهم فى الصمود للصحراء لإبراز ماتحويه من منافع و إمكانيات ولا ريب أن فى ذلك عظيم النفع للمجتمع الدولى بأسره ، وسوف تظهر فائدته بصفة خاصة فى جعل تجارب وخبرة العلماء والمهندسين فى الأقطار التى زرتموها معروفة القراء فى الأقطار الأخرى حيث توجد أحوال مشاكلة لما وصفتم فى رحلتكم .

(Jame Toris Bodet)

جيم توريس بورث

المدير العام لليونسكو

اعتراف بالجميل

أود من صميم فؤادى أن أسدى الشكر إلى دكتور جيم توريس بوديت المدير العام لمنظمة اليونسكو على ما اعتمدته المنظمة لدرس الصحراء من مال وما بذلتـه لى من تيسيرات .

كما أسـدى الشكر إلى جريدة نيوز كرونكل News Chronicle وإلى رئيس تحريرها مستر ر . ج . كروكشانك R. J. cruiksyank على ما قام به من تشجيع لى وما بذله من مساعدات ولا سيما على تنازله بأريحية عظيمة عن حقوق طبع المقالات الأصلية لليونسكو لكى يتيسر لهـا نشرها فى أنحاء العالم بأسره وعلى طبعه ونشره ٢٠,٠٠٠ خريطة وعلى تصـديه للاجابة على آلاف الرسائل الواردة له من مختلف المدارس البريطانية .

ومما ضاعف من قيمة الرحلة تلك المصورات التسجيلية التى قامت بها جريدة بكتوريال بوست Pictorial Post .

وإنى شخصياً لجد شاكر لرئيس تحريرها مستر توم هيكنس Tom Hopkinson على ما أبدى لى من تعاون .

ولا يفوتنى أن أذكر فضل مستر كنجسلى مارتن Kingsley Martim الذى بادر فوعد بتخصيص مكان فى جريدة ذى نيوستيتسمان The Naw Statesman نشر كلمات التشجيع والتقدير عن الرحلة .

أما النجاح فى المدارس فقد تحقق بما أبداه الزملاء فى لجنة اليونسكو فى المملكة المتحدة من تعاون قلبى لاسيما سير جون مود Sir John Maud الوكيل الدائم لوزارة التربيـة ومستر رونالد جولد Ronald Gould السكرتير العام للاتحاد الأهلى للمعلمين ودكتور و . ب . الاسكندر W. P. Alexander سكرتير اتحـاد لجان التعليم . ومستر ا . م . هتشنس E. M. Hutchenson من رجال المؤسسة الأهليـة لتعليم

الكبار منهم مستر ف . ر . كويل F. R. Cowell ومستر ويليم د . بايل . William D. Pile

وإنى مدين لرجال الإدارة فى التسع الدول التى جبت أراضيها بمساعدتهم الخالصة التى بدونها لم أكن لأستطيع قطع مسافات قاصية فى مثل هذا الزمن اليسير . وكذلك لما لقيته من استجابة سخية لكل ما طلبت من رجال تلك الحكومات وعمالها ومن الأشخاص العديدين الذين ظفرت بصداقتهم لأول مرة حينما توجهت إلى الصحراء .

وأخيراً وليس بآخر أنا مدين بالشكر الخالص لرفاقى فى الرحلة مس ميزى روزنفال Miss Maisie Rosen thal ومستر هوج بيرد Hugh Baird ومستر توم بيستو Tom Baistow فانهم جميعاً قد عاونونى فى إظهار هذه الصورة الجديدة الكاملة لرحلتى فى فترة تعتبر مثلا فى قصر الوقت بالنسبة لطولها .

كيف حدثت ؟

إليك أيها القارىء قصة مخاطرة جسيمة فى صحارى شمال أفريقيا والشرق الأوسط، سوف نسوق فيها الحديث عن بعض بلاد الأساطير الخيالية ، وعن ساحل بلاد البربر ذلك الذى كان فى وقت من الأوقات مهبط القرصان - وعن المراكز الأمامية حيث تعسكر بعض رجال الكتيبة الأجنبية ، وعن مضارب خيام البدو وعن ميادين القتال التى اخترقها رجال الجيش الثامن فيما بين العلمين وتونس . ثم عن مصر أرض الفراعنة وفيها صحراء سينا حيث تاه موسى و بنو اسرائيل أربعين سنة ؛ وأخيراً عن بغداد وما تبعثه فى الذاكرة من حكايات هارون الرشيد وألف ليلة وليلة ؛ وعن فارس بصحاريها الملحة ، وجزيرة قبرص وصلتها التاريخية بالصليبيين، وعن فلسطين . وهكذا سوف تجد القصة تربط عصرنا الحاضر بتلكم المستعمرات العظيمة الغابرة بافريقيا ، عن قرطاجة وروما واليونان وتلكم الامبراطوريات القديمة فى الشرق الأوسط ، سومار يا وآشور و بابل وفارس وهكذا قد اشتملت القصة جميع البقاع التى نبتت فيها ثلاث ديانات عظيمة ، وهى اليهودية والمسيحية والإسلام .

حقا إن هذه الرحلة كانت على الأقل بالنسبة لى مخاطرة جسيمة ، ولعل هذا الكتاب يستطيع أن يجعل قارئه يشاطرنى الدهشة من كشف عادات عجيبة وأماكن غريبة ومن تجاوز آفاق واسعة ليس فقط بالنسبة لعالم لم نألفه من قبل ولكن بالنسبة لمعلومات طالما جهلناها ومن مقابلة أشياء تتحدى مخيلة الانسان ومقدراته ، إذ ليس أمر من هذه الأمور أقل خطرا من قطع الصحارى نفسها .

وقد بدأ الأمر فكرة هينة متواضعة حين كلفتنى اليونسكو بة بوصفى المحرر العلمى لجريدة ذى نيوز كرونكل ، على أنه مجرد زيارات استطلاعية لمحطات الأبحاث المختلفة فى الصحراء لأتبين حقيقة أحوالها من حيث العمل الجارى بها وأولئك الرجال والنساء الذين وقفوا أنفسهم على خدمة العلم فى الصحراء وعن أنواع البحوث التى تفرغوا للقيام بها ومدى ما وصلوا إليه فيها .

نعم إنها « متواضعة » لكن هذا بالنسبة للغرض الأصلى المرسوم لها ، أما المجال الجغرافى المطلوب قطعه لتحقيقها فجد خطير وهائل . ذلك لأن الصحارى بحرها المزهق وجفافها المزهق تغطى ثلث اليابسة من كرتنا الأرضية . وإنها تكاد تغمر خمساً من الست القارات المعمورة فى شمالى وجنوبى خط الاستواء . ولا ريب أن جولة رجل بمفرده فى هذه الفيافى والقفار أمر شاق جد شاق . لذلك قررنا أن نتخير مساحة معينة لنحصر فيها كشفنا ونتخذها قطاعا نموذجيا لباقى الأنحاء . وقد وقع اختيارنا على « صحارى العهود القديمة » تلكم البقاع التى تتابع عليها مختلف الحضارات والامبراطوريات والثقافات ثم انصهرت كلها وتحللت فى تربتها ، ونعنى بها صحارى شمالى أفريقيا والشرق الأوسط .

وما كدنا نفكر فى موضع اختيارنا هذا والمناحى المختلفة فيه ، حتى استبانت لنا حقيقة أخرى وهى أن الرحلة ستئول إلى نتيجة مغايرة لمقصدنا الأول . إذ أننا نستطيع فى هذه المنطقة أن نتبين فوق التقرير عن أحوال محطات البحوث القائمة الآن — تلكم الدروس والنذر التى توحيها إلينا « الحضارات الدارسة » وبذلك يتهيأ لنا ما كان ، وما هو كائن ، وما عساه أن يكون .

وقد هالنا ما ظهر لنا عندما وضعنا المسألة على بساط البحث فى المركز الرئيسى لليونسكو فى باريس ، فقد وضح لنا على الأقل عدم إلفتنا لأقاليم هذه المنطقة إن لم نجهلها جهلا بعيد المدى ومع ما لهذه الأقاليم من الصلة الوثيقة بثقافتنا الحالية ليس لها أثر يذكر فى تعبيرنا الواعى بل لعلها خفيت بتاتا من عقلنا الباطن نفسه ، وجدير بهذا الجهل أن يتضاعف آلاف آلاف المرات بالنسبة لأقوام عديدين فى الدنيا تعنى اليونسكو بتعليمهم وتزويدهم بالحقائق . ولنا عظيم الأمل فى أنه إذا استطاع العلم أن يكشف حقائق الصحارى لأمكن الناس فى كافة البقاع أن يلموا بشىء عن طبيعتها وإمكانياتها وهكذا تلك المسألة التى بدت فى أولها مما يهم شعبة العلوم الطبيعية فى اليونسكو وحدها أصبحت تهم شعبة تعميم المعلومات ونشرها فى العالم أجمع بالصحافة والسينما والراديو . وفضلا عن ذلك قد ظهرت جهة أخرى يهمها هذا الأمر ، وهى « التربية » إذ أن

الهيئة التعاونية الأهلية للتربية فى المملكة المتحدة تكفلت بإبلاغ هذا المشروع إلى خمس عشرة مدرسة بريطانية والإفادة منه فيها ونتج من ذلك أننى كثيرا ما قوبلت بالتحية فى مفارق الطرق المختلفة فى الصحراء حيث هتف لى المستقبلون بقولهم « اشترك فى الفكرة اليوم ١٠٠٠ مدرسة أخرى » وكتبوها على لافتات أعلامهم ، فكان هذا مشجعا لى ومبهجا بحق . لأن هذه الهتافات عززت حماستى للمشروع وهى حماسة بالغة تشبه حماسة تلاميذ المدارس أو على الأقل نهضت عذرا يمنع الملامة عنى من جراء تطلعى ملء عينى بسذاجة لمشاهدة أشياء اعتادت الكتب المدرسية (ولم أحمل معى شيئا منها فى البادية) أن تقلل من شأنها أو تنبذها نبذا تاما . ولو أن بعض رفاق العلماء الممحصين رافقونى فى هذه الرحلة ليشيروا على لما جرؤت أن أوجه هذا السؤال الطائش لأحد ممن قابلتهم « ومن أين حصل هانيبال على الفيلة ؟ » ومع ذلك فإن هذا السؤال نفسه استتبع سلسلة من الأسئلة والنتائج التى أقصتنى كل الأقصاء عن هانيبال وفيلته بل منها ما حير الكثير من أولئكم العلماء الحصفاء .

ولا بد لى من أن أكرر أن المشروع كان مخاطرة جسيمة ، وقد انبعثت فى سمات تلميذ المدرسة الكامنة فى نفس كل رجل كبير . ولكنها مع ذلك لا تخلو من معنى جدى يهتم له الكبار أو من واجبهم أن يهتموا به : إن عدد سكان العالم مستمر فى الازدياد بدرجه تنذر بأسوأ العواقب ، فإنهم يزيدون نسمة واحدة تأكل الطعام فى كل ثانية ونصف ثانية . وليست ثمت أرض خصبة بكر يمكن إعدادها للزراعة مثل تلك القارات التى أطعمت فى القرن التاسع عشر أوروبا حينما كان عدد مواليدها فى ازدياد مستمر ، ولا ريب أننا الآن نفقد من رقعة الأراضى الزراعية بدلا من أن نضيف إليها . وقد قال لورد بويد أور Lord Loyd Orr « إنه لكى نغذى العالم تغذية صحيحة يجب أن نعمل على مضاعفة مقادير الأطعمة الحالية فى سنة ١٩٦٥ » . وقد كان تأكيده منصباً على كلمة «صحيحة» ذلك لأن نصف سكان العالم الحالى لا يحصلون على مقدار الطعام الضرورى لحفظ الإنسان فى صحة طبيعية جيدة ، ومما له دلالة عظمى أنه فى البلاد التى أطلقوا عليها اسم «البلاد المتخلفة» حيث تغلب وتسود

«طبقات المحرومين» ويشتد فيها التذمر لدرجة أنه من السهل جداً أن نطلق عليه عنواناً اصطلاحياً خاصاً فنقول مثلا «التذمرية» الناشئة من الجوع الرتيب غير المنقطع وهو الأمر الذى يسمح لمحترفى إثارة الجماعات باستغلاله والحق أنهم فى ذلك ليسوا بمفترين .

أما والحالة هذه — فالصحارى — التى تظهر فى المصورات الجغرافية كأنها فضاء مطلق — وإن تكن لا تصلح مادة لدرس جغرافى فإنها تصلح مادة لدرس اجتماعى مفيد أيما فائدة فى شئوننا الحاضرة . فإن الصحارى قد تصبح يوماً ما هى الأراضى الجديدة الكفيلة بعلاج أزمة المواد الغذائية الناشئة من تزايد السكان . لذلك نجدها شاخصة تتحدى هيئة الأمم المتحدة ، فإذا صح أن العلم يستطيع أن يعمل شيئاً لإحياء مواتها فسوف يصبح واجب اليونسكو أن تحشد العلماء حشداً وتكل إليهم أعمال البحوث .

وإذا كانت ثمت طرق قابلة للاستخدام فسوف يكون من واجب الهيئة العالمية للزراعة والتغذية Fao أن تعنى بتحقيقها أشد العناية . وإذا كان الإصلاح يفتقر إلى وسائل وكفايات ليست فى موفور بعض الأقاليم ذات الصحارى فلا بد أن تدبر المعونات الفنية لهذه البلاد المتخلفة .

وما زالت المهمة التى خصتنى بها اليونسكو هى استطلاع أحوال أولئك الرجال (والنساء) المقيمين فى محطات البحوث والكشف فى أنحاء الصحارى المترامية . هؤلاء الأفراد المغمورين ولكنهم مع ذلك غير هيابين ولا وجلين من الصمود لمهمتهم وهى «إيقاظ» الضمائر الغافلة فى أفئدة الناس عامة وتنبيههم إلى مشكلات الصحارى والإمكانيات المحتملة فيها .

ولكن بعثتى لم تكن مزودة بكامل ما يلزم لتحقيق الغرض منها فقد تكونت فقط من ريموند كليبو Raymond Klebboe مصور جريدة «بكتشر بوست» Pictume Post ومنى أنا ؛ وقد استطعنا حيثما توجهنا فى أثناء رحلتنا أن نتخير أعواناً كرماء غيورين .

ولم يكن لدينا من الأدوات سوى تلك الضرورية لمهمتنا المضنية — وهى آلة كاتبة ، وآلة تسجيل بقدر ما اتسعت لهما حقيبتى ، ثم آلات التصوير التى اتخذها كليبو — وقد حصلنا على وسائل النقل أولا بأول فى طوال رحلتنا من الكرماء الذين استهوتهم مهمتنا أو مما استولت عليه لنا الحكومات التى عبرنا بلادها . وأستطيع أن أزعم أننا قطعنا حوالى ٨٫٥٠٠ ميل بالتعلق بذوى المركبات من عابرى الصحارى نلتمس منهم حملنا معهم .

والواقع أن الموقف بدون مبالغة هو أننا كلما انتقلنا من مرحلة إلى التى بعدها لم نكن رتبنا من قبل وسيلة انتقالنا ولم نعلمها إلا بعد الحصول عليها إما بإغراء من يستهويهم مشروعنا أو بوساطة الحكام المرهقين فى واجباتهم المحلية . ولقد حدث مرة أننى بعد ما توقفت ستة أيام فى الصحراء الغربية تخلصت من الموقف « بتعلق خارج عربة » كانت تقطع مفازة من أخطر المفازات ، وفى مرة أخرى اضطررت لاستئجار عربات (تاكسى) لتحملنى أنا وزميلى فى صحراء شبه جزيرة سيناء .

ولعل أبدع ما طابت له نفسى ، ووجدت فيه خير جزاء على جهودى ما تبينته بعد عودتنا إلى وطننا ، وهو أن تلاميذ المدارس اتخذوا من المقالات التى كنا نبعث بها لصحيفة نيوز كرونيكل فى أثناء رحلتنا مادة لتجربة قوية فى التعليم بطريقة المشاريع ، وفوق ذلك كله إننى تلقيت رسالتين فى بريد واحد أولاهما تؤكد لى نجاح المشروع المؤسس على رحلتنا فى تربية التلاميذ الشواذ defective children والثانية من كلية باليول Balliol College Oxford التابعة لجامعة أكسفورد تفيدنى بأنهم فى صدد إعداد بعثة لكشف القنوات الفارسية canats التى وصفتها فى « الفصل التاسع » .

فلو قيس نجاح الكتاب بما بلغه هذا الاهتمام من شأو بعيد لأصاب حقاً غرضنا من تأليفه ولاعتبر أنه مخاطرة فى التربية كما أنه مخاطرة فى الرحلة .